

عن معنى جديد، كان من المطلوب أيضاً تليل التنوع في الأدب زمنياً ومكانياً بقبول المجتمعات البشرية وخصائصها المميزة.

في هذا الوقت أي حوالي 1800 برز ونما التعبيران الأساسيان القائلان بروح العصر ZEITGEIST والروح الوطنية VOLTSGEIST، وذلك في الممتدى الخاص بأصدقاء مدام دوستال الالمان. وإنما لنجدهما شائعين من بعد في ثلاث أفاظ مرنة ومبينة في مذهب تين TAINE أي: العرق والبيئة والزمن. وتفاعل هذه العوامل الثلاثة هو ما يحدد الظاهرة الأدبية.

غير أن تين كان في حاجة إلى أن يعي مفهوم «العلم الإنساني» بوضوح. وهذا ما اعترض به عليه جورج لانسون Georges Lanson بعد نصف قرن بقوله: «ليس ما يجمع بين تحليل العبقرية الشعرية وتحليل السكر سوى الاسم»⁽¹⁾. فإن مخططه حول العرق والبيئة والزمن ناقص بحيث لا يستطيع أن يشمل جميع مظاهر حقيقة هي في غاية التعقيد. خصوصاً وأن مناهجه لا تطابق خاصية الواقع الأدبي. فعدا عن الطوائف التي ينقلها عشوائياً عن علوم الطبيعة فهو لا يملك، كي يصل إلى المادة التي يدرسها، أية وسائل تقليدية من التاريخ والنقد الأدبي: التحليل السيري وشرح المتن.

غير أن جوهر نظرية تين TAINE ما يزال قائماً: منذ عهده ما عاد مؤرخو الأدب ونقاده يجيزون لأنفسهم، بالرغم من أن هذا يحصل في بعض الأحيان، أن يجهلوا الحتميات التي تفرضها الظروف الخارجية وبخاصة الاجتماعية على النشاط الأدبي.

وبما أن الاقتصاد هو علم إنساني فقد كان يمكننا أن نتظر من الماركسية فعالية أكثر من نظرية تين. والواقع هو أن أول واضعي النظريات الماركسية ظهرُوا شديدي الحذر حول المسائل الأدبية. والمؤلف الذي جمعت فيه كتابات ماركس وانجلز «حول الأدب والفن» جاء مخيباً للآمال. ومنذ مطلع القرن العشرين ومع بليخانوف

(1) G. Lanson, Méthodes de l'histoire littéraire, Etudes françaises, 1er Cahier, Janvier 1925, P. 23..